

## – جانب من حضارة السلاجقة ونظامهم السياسي خلال العصر العباسي الرابع :

### تمهيد :

تعرفنا في المحاضرة السابقة على أهم مظاهر سيطرة السلاجقة على الخلافة العباسية ، ولحسن حظ العباسيين انها كانت سيطرة سنوية حفظت للخلافة العباسية هيبتها واستمراريتها طوال قرنين من الزمان ، وعلى الرغم من أن عصر القوة السلجوقية لم يطل كثيرا ، إلا أنه كان مليئا بالإنجازات في شتى المجالات وسنتعرف في هذه المحاضرة على جانب من حضارة السلاجقة .

### النظام السياسي :

كان لبدأوة السلاجقة وغلبة النظام القبلي عليهم اثر في نظم الحكم التي طبقوها فلم يكن هناك نظام واضح ، حيث كان يتولى السلطنة أقوى أفراد الاسرة واكثرهم نفوذا ، وأحيانا كانت تسند الى الاكبر سنًا ، فمثلا على التوالي تولى السلطنة السلجوقية سلجوق بن دقاق ثم ابنه الاكبر إسرائيل ثم ميكائيل إلى غاية أن وصلت القيادة الى طغرلبيك الذي يعتبر أول سلطان للسلاجقة في المشرق الاسلامي ، لأنه كان أقوى سلاطين السلاجقة وقائد جيوشهم من جهة أخرى ، كما أنه لم يلقى معارضة من طرف هؤلاء .

وهكذا أختير "طغرلبيك" ليكون سلطانا على السلاجقة لما يتحلى به من قوة الشكيمة والشجاعة النادرة ، وخضع له الحكام الذين يعينهم خضوعا تاما فالتف حوله الجميع وتعاهدوا على حفظ الدولة ، أما الباقون من الأمراء فقد تلقبوا "بالشاهات" أي الملوك ، واختص كل واحد منهم بمنطقة ، ومنهم "جفري بك داوود" الذي كان على منطقة "مرو" وموسى حاكما على "هراة" و"سجستان" ، وكان "ابراهيم ينال" الغير الشقيق "لطغرلبيك" حاكما على جرجان ، ولم يلقب بلقب الملك وهذا كان سببا لتمرده على طغرلبيك فيما بعد .

لقد كان اختيار السلطان "طغرلبيك" لتولي السلطنة مختلفا عن لاحقيه من السلاطين ، فإذا كان اختياره جاء عن رغبة من أمراء السلاجقة فإن اختيار ألب أرسلان جاء بناءً على رغبته ورغبة وزيره نظام الملك الطوسي ، فقد مات طغرلبيك سنة 455 هـ / 1063 م ، دون ان يخلف ولد ، وكان قبل وفاته قد تزوج من أرملة أخيه " جفري بك " التي اشترطت عليه أن يجعل من ابنها سليمان وليا لعهد ، على الرغم من صغر سنه الذي لم يتجاوز سن الرابعة .

لما علم " ألب أرسلان " بالأمر سار الى الري مع وزيره "نظام الملك" فاستطاع بسيفه أن يتولى السلطنة بدلا من سليمان ، وأجبر "الكندري" وزير "طغرلبيك" على إقامة الخطبة له ، أما اختيار "ملكشاه" فقد كان أكثر مرونة ، بحيث كان بناء على وصية أبيه "ألب

أرسلان" ، وكان "نظام الملك" هو من أجلسه على كرسي السلطنة ، وبهذا أصبح الأمر عادة متوارثة عند السلاجقة ، مما كان له الأثر السلبي في خلق المنافسة ، والتعجيل بسقوط دولة السلاجقة .

### موافقة الخليفة العباسي على السلطان السلجوقي :

بهذا التعيين والاعتراف من قبل السلاجقة لا تكتمل حقوق السلطان الشرعية إلا إذا وافق الخليفة العباسي ، ومثال ذلك أن "طغرلبك" لما تولى عرش السلاجقة سنة 429 هـ / 1037 م شرع في مراسلة الخليفة العباسي القائم بأمر الله في بغداد للحصول على تفويض شرعي ، حيث أن "طغرلبك" أرسل "أبو إسحاق الفقاعي" مع رسالة يطلب إليه فيه الاعتراف به سلطانا على دولة السلاجقة الناشئة ، ولما وصلت الرسالة الى الخليفة سُر بها ، وبدوره الخليفة أرسل قاضي القضاة "أبو الحسن الماوردي" الى "الري" يدعو "طغرلبك" الى دار الخلافة بغداد ، كما أرسل معه الخلع السلطانية مع كتاب التفويض بحكم ما تحت يديه من رقعة جغرافية .

### تفويض الخليفة للسلطان على السلطنة :

كانت السلطنة تفوض وتولى بحضرة الخلافة ، حيث جرت العادة ان يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسي عالٍ ، ويجلس بالقرب منه السلطان المولى ، ويقدم أعيان المملكة ورؤسائها ، ويخاطب السلطان بالولاية على لسان وزيره ، ثم يحمل في موكب حافل إلى داره ، وهو بدوره يرسل بالهدايا الى الخليفة ، وهذا ما حدث مع السلطان "طغرلبك" إذ قبل يد الخليفة احتراماً وإجلالاً له .

### نظرية التفويض الإلهي :

كان لاحتكاك السلاجقة بالفرس أثره في اعتقاد السلاجقة أن الحاكم مفوض من الله وله مطلق الحكم بموجب هذه النظرية ، وهذا ما جاء في مقولة نظام الملك أن (( الله اختار وميزه على عباده ، وجعلهم جميعاً خاضعين له ، منه يستمدون نفوذهم ودرجاتهم ، أما هو فيستمد قوته من ربه الذي جعله أميناً على عباده ، فعليه إذا ليكون له على سائر الملوك فخر وفضل أن يتحلى بطيب الخلق وحميد الخصال )) .

وأوضح السلطان ألب أرسلان هذا الاعتقاد في قوله عند تعيين نظام الملك الطوسي وزيراً له قائلاً (( وإنا نُعدّه ونُهيئه لنعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى ، والتي حصلها بواسطة تربيتنا له )) .

### إقامة الخطبة للسلطان السلجوقي :

يتبع الأمور السابقة التي ذكرناها إقامة الخطبة للسلطان على سائر المنابر في دولته ، بالإضافة إلى حاضرة الخلافة بغداد ، و"طغرلبك" هو أول سلطان خُطب له على منابر الخلافة العباسية في فارس والعراق وغيرها من النواحي ، إذ حين دخوله بغداد سنة 447 هـ / 1055م أمر الخليفة القائم أن تُقرأ الخطبة باسمه وأن يكون له لقب "السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبا طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق" ، وهذا دليل على قوة السلطان السلجوقي وزيادة نفوذه واتساع رقعة دولته ، كما قُرئت الخطبة باسم ابن أخيه "ألب ارسلان" في جميع مدن فارس وفي مكة والمدينة وبعض مدن آسيا الصغرى .

### الألقاب ونقش إسم السلطان على العملة :

كان للألقاب أهمية كبرى في جميع الدول وعلى الخصوص دولة السلاجقة ، ولذلك حرص سلاطين السلاجقة وأمراؤهم ووزرائهم على التلقب بالألقاب الدينية والدينيوية وذكرها إلى جانب أسمائهم الاصلية ، حتى أصبحت مظهرا رسميا من مظاهر الدولة ، وكان الخليفة العباسي هو الذي يمنح اللقب للسلطان السلجوقي إذا ما وافق على تفويضه الحكم مباشرة على الدولة ، ومثال ذلك مع حدث مع "طغرلبك" إذ لقبه الخليفة القائم بملك المشرق والمغرب ، حيث وجد هذا اللقب مضروبا على السكة العباسية بمدينة بغداد ، وحينما أنقذ طغرلبك الخلافة العباسية من فتنه البساسيري أطلق عليه الخليفة القائم لقب ( شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب ، مُحِب الإسلام حليف الإمام يمين خليفة الله أمير المؤمنين )

كما حرص سلاطين السلاجقة على نقش أسمائهم على العملة ، فطغرلبك لما دخل مدينة نيسابور سنة 429 هـ / 1037 م ضرب العملة باسمه في كل البلاد التي استولى عليها وكان أخوه " جغري بك" قد سبقه الى ضرب العملة في البلاد التي استولى عليها وخُطب له في مدينة نيسابور سنة 428 هـ / 1036 م .

### القصر أو دار الحكم :

تعتبر دار الامارة من رسوم الامارة عند السلاجقة حيث تبدو أهميتها من خلال إدارة الدولة إنطلاقا منها ، فلما دخل "طغرلبك" "نيسابور" سنة 429 هـ جلس مؤقتا على مسعود الغزنوي حيث إدارة دفة الحكم من هناك ، ولما نقل العاصمة الى " الري " بنى قصرا مهيبا كانت تنطلق منه الرسائل والحملات الى جميع الجهات ، كما ابنتى "طغرلبك" القصور في بغداد ، كان ينزل فيها حينما يفد الى بغداد .

### شارات السلطان السلجوقية :

الخيمة : كانت توضع ملاصقة لقصر السلطان ، و كانت تدل على الحكم وسيطرة السلطان ، وكانت حمراء اللون ولها أمين يشرف عليها ، يجتمع فيها السلطان مع مستشاريه لمناقشة

مختلف الأمور ، وكانت تنتقل حيث ما ينتقل السلطان ، كما حدث في معركة ملاذكرد سنة 463 هـ / 1071 م ، حيث استقبل فيها "ألب أرسلان" الامبراطور البيزنطي داخلها .

**البيرق :** وهو العلم او الراية وكانت له اهميته ايضا حتى بالنسبة للخلافة العباسية وجميع الدول فقد كان لون "بيرق" السلاجقة أخضر ومكتوب عليه لفظ الجلالة ، وإسم السلطان السلجوقي .

**التخت :** وهو العرش أو السرير الذي يجلس عليه السلطان

**الميقاتي :** وهو الرجل الذي يقرع الطبول أمام دار السلطان ووزرائه وحاشيته والقضاة وغيرهم من رجال الدولة المهمين إيذانا بدخول وقت الصلاة .

**التاج :** ما يتزين به السلطان فوق رأسه في المواعيد الرسمية والموكب والاحتفالات ، حيث كان مرصعا بالجواهر والأحجار الكريمة وكانت دلالاته على رفعة المجد والافتخار والاعتزاز

**القيليج :** أو كما يسميه الأتراك بالسيف

**القباء والهودج :** ويأتي فوق الفيل إذ ورثه السلاجقة من الغزنويين ، وهذا "الهودج" يكون مرصع بالجواهر وهو من أهم شارات السلطنة ، حيث أن طغرلبيك حينما سار الى بغداد سنة 451 هـ / 1060م ركب على فيل عليه هودج بعد أن قضى على فتنة "البساسيري"

**البوق :** للسلطان السلجوقي بوق ينفخ فيع وقت نزوله وركوبه وهي شبه منقار طول ملتوي

**الخاتم أو التوقيع :** كان السلطان السلجوقي يحمل خاتمه بنفسه وكان لكل منهم توقيع خاص به على المراسلات والمكاتبات ، كما تميزت توابع السلاجقة بالاعتماد على الرموز الدينية ، و كان هؤلاء يستفتحون مراسلاتهم بالدعاء .

**الخوان :** كانت قصور السلاجقة تحتوي على أماكن مخصصة للطعام والجلوس وأماكن أخرى للغلمان ، وكان سلطان السلاجقة ينصب الخوان في الصباح الباكر (مايوضع عليه الطعام اثناء الاكل) وكانت توضع عليها اشهى انواع الطعام ، حتى أن ألب أرسلان كان يطبخ في مطبخه خمسون رأسا من الغنم للفقراء وخصص راتبا للذي يشرف على هذا الأمر .